الفصل الأول

ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه بين مكة والمدينة

المبحث الأول

اسمه ونسبه وكنيته وألقابه وصفته وأسرته ومكانته في الجاهلية

أولاً : اسمه ونسبته وكنيته وألقابه :

[١] **اسمه :** هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب [(١)] ، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله ﷺ في عبد مناف ، وأمه أروى بنت كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ [(٢)] ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ ، ويقال إنهما ولدا توأما حكاه الزبير بن بكار ، فكان ابن بنت عمة النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ ابن خال والدته ، وقد أسلمت أم عثمان رضي الله عنها وماتت في خلافة ابنها عثمان وأنه كان ممن حملها إلى قبرها [(٣)] ، وأما أبوه فهلك في الجاهلية .

[٢] **كنيته :** كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ سماه عبد الله ، واكتنى به ، فكنّاه المسلمون أبا عبد الله [(٤)] .

---

(١) الطبقات لابن سعد (٥٣/٣) ؛ الإصابة (٣٧٧/٤) ، رقم (٥٤٦٣) .
(٢) التمهيد والبيان ، محمد يحيى الأندلسي (ص ١٩) .
(٣) الخلافة الراشدة والدولة الأموية ، د . يحيى اليحيى ، (ص ٣٨٨) .
(٤) التمهيد والبيان ، (ص ١٩) .

obeikandl.com

[٣] **لقبه :** كان عثمان رضي الله عنه يُلقّب بذي النورين وقد ذكر بدر الدين العيني[١] ، في شرحه على صحيح البخارى : أنه قيل للمهلب بن أبى صفرة[٢] : لم قيل لعثمان ذا النورين؟ فقال : لأنّا لا نعلم أحداً أرسل سترًا على بنتي نبيّ غيره[٣] ، وقال عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي : قال لي خالي حسين الجعفي : يا بني ، أتدري لِمَ سُمي عثمان ذا النورين ؟ قلت : لا أدري . قال : لِمَ يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة ، غير عثمان ، فلذلك سُمي ذا النورين[٤] ، وقيل قد سمى بذي النورين لأنه كان يكثر من تلاوة القرآن في كل ليلة في صلاته ، فالقرآن نور وقيام الليل نور[٥] .

[٤] **ولادته** : ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح[٦] ، وقيل ولد في الطائف ؛ فهو أصغر من رسول الله ﷺ بنحو خمس سنين[٧] .

[٥] **صفته الخَلْقية :** كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل ، رقيق البشرة ، كث اللحية عظيمها ، عظيم الكراديس[٨] ، عظيم ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، يصفرّ لحيته ، وقال الزهرى : كان عثمان رجلاً مربوعًا ، حسن الشعر ، حسن الوجه ، أصلع ، أرْوَح الرجلين[٩] ، وأقنى[١٠] ، خدل الساقين[١١] ،

---

(١) هو محمود بن أحمد بن موسى العيني ، أبو محمد : من علماء التاريخ والحديث والفقه ، له تآليف كثيرة توفى (٨٥٥ هـ) . انظر : شذرات الذهب (٢٨٦/٧) ؛ الضوء اللامع (١٣١/١٠) .

(٢) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي العقلى : من الأمراء الأبطال غزا المهلب الهند – في خلافة معاوية – وولي الجزيرة لابن الزبير وحارب الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان ، ثم ولي خراسان من قبله سنة ٧٩هـ ، وترجع شهرته إلى حرب الخوارج توفي (٨٣هـ) ، وفيات الأعيان (٣٥٠/٥) ، سير أعلام النبلاء (٣٨٣/٤) .

(٣) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (٢٠١/١٦) .

(٤) سنن البيهقي (٧٣/٧) ، قال الدكتور عاطف لماضة : خبر حسن .

(٥) عثمان بن عفان ذو النورين ، عباس العقاد (ص ٤٥) .

(٦) الإصابة (٣٧٧/٤) رقم (٥٤٦٤) .

(٧) عثمان بن عفان ، صادق عرجون ، (ص ٤٥) .

(٨) الكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظمين التقيا في مفصل .

(٩) تاريخ الطبري (٤٤٠/٥) ؛ أروح الرجلين : منفرج ما بينهما .

(١٠) أقنى : طويل الأنف مع دقة أرنبته ، وحدب في وسطه .

(١١) خدل الساقين : أي ضخم الساقين .

طويل الذراعين قد كسا ذراعيه جعد الشعر ، أحسن الناس ثغراً ، جُمتّه [١] أسفل من أذنيه ، حسن الوجه والراجح أنه أبيض اللون ، وقد قيل : أسمر اللون [٢] .

ثانيًا : أسرته :

تزوج عثمان رضي الله عنه ثماني زوجات كلهن بعد الإسلام ، وَهُنَّ : رقية بنت رسول الله ﷺ ، وقد أنجبت له عبد الله بن عثمان ، ثم تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة رقية ، وتزوج فاختة بنت غزوان ، وهي أخت الأمير عتبة بن غزوان ، وأنجبت لعثمان عبد الله الأصغر ، وأم عمرو بنت جندب الأزدية ؛ وقد أنجبت لعثمان ؛ عمراً ، وخالداً ، وأبان ، وعمر ، ومريم ، وتزوج فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية ؛ وأنجبت لعثمان : الوليد ، وسعيداً ، وأم سعد ، وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ؛ وأنجبت لعثمان عبد الملك ، وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة الأموية ؛ وأنجبت لعثمان عائشة ، وأم أبان ، وأم عمرو ، وقد أسلمت رملة ، وبايعت رسول الله ﷺ ، وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبيَّة وكانت على النصرانية ، وقد أسلمت قبل أن يدخل بها وحَسُنَ إسلامها [٣] ، وأما أبناؤه فقد كانوا تسعة أبناء من الذكور من خمس زوجات وهم : عبد الله ، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ ، ولد قبل الهجرة بعامين وأخذته أمُّهُ عندما هاجرت مع زوجها عثمان إلى المدينة وفي أوائل أيام الحياة في المدينة نقره الديك في وجهه قرب عينه ، وأخذ مكان نقر الديك يتسع حتى طمر وجهه حتى مات في السنة الرابعة للهجرة ، وكان عمره ست سنوات [٤] ، وعبد الله الأصغر : وأمه فاختة بنت غزوان ، وعمرو وأمه أم عمرو بنت جندب ، وقد روى عن أبيه ، وعن أسامة بن زيد ، وروى عنه عليّ بن

---

(١) جمّته : مجتمع شعر الرأس .
(٢) صفة الصفوة (٢٩٥/١) ، صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين (ص ١٥) .
(٣) تاريخ الطبري (٤٤١/٥) ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (ص ١٩) ؛ الأمين ذو النورين ، محمود شاكر ، (ص ٣٦٤) .
(٤) الأمين ذو النورين (ص ٣٦٥) ؛ التمهيد والبيان (ص ١٩) .

الحسين ، وسعيد بن المسيب ، وأبو الزِّناد وهو قليل الحديث وتزوج رملة بنت معاوية ابن أبي سفيان ، توفي سنة ثمانين للهجرة ، وخالد ؛ وأمه أم عمرو بنت جندب ، وأبان ؛ وأمه أم عمرو بنت جندب ، كان إماماً في الفقه ، يكنى أبا سعيد ، تولى إمرة المدينة سبع سنين في عهد عبد الملك بن مروان ، سمع أباه وزيد بن ثابت ، له أحاديث قليلة منها ماروواه عن عثمان : من قال في أول يومه وليلته : « **بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، لم يضره ذلك اليوم شيء أو تلك الليلة** » ، فلما أصاب أبان الفالج قال : إني والله نسيت هذا الدعاء ليمضي فيَّ أمر الله » [(١)] ، ويعتبر من فقهاء المدينة في زمنه وقد توفي سنة خمس ومائة [(٢)] ، وعمر ؛ وأمه أم عمرو بنت جندب ، والوليد ؛ وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية ، وسعيد ؛ وأمه فاطمة بنت الوليد المخزومية تولى أمر خراسان عام ستة وخمسين أيام معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك ؛ وأمه أم البنين بنت عيينة بن حصن ، ومات صغيراً ، ويقال : ولدت نائلة بنت الفرافصة ولداً لعثمان سُمِّيَ عنبسة [(٣)] ، وأما بناته ، فهن سبع من خمس نساء؛ مريم وأمها أم عمرو بنت جندب ، وأم سعيد ؛ وأمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية ، وعائشة وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة ، ومريم بنت عثمان وأمها نائلة بنت الفرافصة وأم البنين ؛ وأمها أم [(٤)] ولد وأما شقيقة عثمان ؛ فهي آمنة بنت عفان فقد عملت ماشطة في الجاهلية ، ثم تزوجت الحكم بن كيسان مولى هشام ابن المغيرة المخزومي، وأسرت سرية عبد الله بن جحش الحكم بن كيسان ، وفي المدينة أسلم وحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، في بداية السنة الرابعة للهجرة ، وبقيت آمنة بنت عفان في مكة على شركها حتى يوم

---

(١) سُنن الترمذي ، كتاب الدعوات رقم (٣٣٨٥) ، حديث صحيح .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٥٣/٤) ؛ تاريخ القضاعي ، (ص ٣٠٨) .
(٣) الأمين ذو النورين ، (ص ٣٦٩) .
(٤) التمهيد والبيان ، (ص ٢٠) .

الفتح حيث أسلمت مع أمها وبقية أخواتها ، وبايعت رسول الله ﷺ مع هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين [١] ، وأما إخوة عثمان من أمه فله ثلاثة إخوة وهم : الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، قتل أبوه يوم بدر صبراً وهو كافر ، وخرج الوليد مع أخيه عمارة بعد الحديبية لرد أختهما أم كلثوم التي أسلمت وهاجرت ، فأبى رسول الله ﷺ ردَّها ، أسلم يوم الفتح ، ومن إخوة عثمان لأمه عمارة بن عقبة ؛ تأخر إسلامه ، وخالد بن عقبة ، وأما إخوته من أمه فهن ؛ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، أسلمت بمكة وهاجرت وبايعت رسول الله ﷺ ، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية ، ومن أخوات عثمان لأمه ، أم حكيم بنت عقبة ، وهند بنت عقبة [٢] .

ثالثًا : مكانته في الجاهلية :

كان رضي الله عنه في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه فهو عريض الجاه ثريٌ ، شديد الحياء ، عذب الكلمات ، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه ، لم يسجد فى الجاهلية لصنم قط ، ولم يقترف فاحشة قط ، فلم يشرب خمراً قبل الإسلام وكان يقول : إنها تذهب العقل ، والعقل أسمى ما منحه الله للإنسان ، وعلى الإنسان أن يسمو به ، لا أن يصارعه ، وفي الجاهلية كذلك لم تجذبه أغانى الشباب ولا حلقات اللهو ، ثم إن عثمان كان يتعفف عن أن يرى عورة [٣] ، ويرحم الله عثمان رضي الله عنه فقد يسر لنا سبيل التعرف علينا حيث قال : ما تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا مسست ذكَري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام ، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام [٤] ، وكان رضي الله عنه على علم

---

(١) الأمين ذو النورين (ص ٣٤٦) .
(٢) المصدر السابق ، (ص ٣٥٤) .
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي ، أحمد شلبي (٦١٨/١) .
(٤) حلية الأولياء (٦٠/١ ، ٦١) الخبر صحيح .

بمعارف العرب في الجاهلية ، ومنها الأنساب والأمثال وأخبار الأيام ، وساح في الأرض فرحل إلى الشام والحبشة وعاشر أقوامًا غير العرب ، فعرف من أحوالهم وأطوارهم ما ليس يعرفه غيره [١] واهتم بتجارته التى ورثها عن والده ، ونمت ثرواته وأصبح يعد من رجالات بني أمية الذين لهم مكانة في قريش كلها ، فقد كان المجتمع المكي الجاهلي الذي عاش فيه عثمان يقدر الرِّجال حسب أموالهم ويهاب فيه الرجال حسب أولادهم وإخوتهم ثم عشيرتهم وقومهم، فنال عثمان مكانة مرموقة فى قومه ، ومحبة كبيرة ، ومن أطرف ما يُروى عن حب الناس لعثمان لما تجمَّع فيه من صفات الخير أن المرأة العربية فى عصره كانت تغنِّي لطفلها أغنية تحمل تقدير الناس له وثناءهم عليه ، فقد كانت تقول :

أحـــبُّك والرحـــمن حب قـريش لعـثـمـان [٢]

رابعًا : إسلامه :

كان عثمان قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام ، ولم يُعرف عنه تلكؤ أو تلعثم بل كان سباقًا أجاب على الفور دعوة الصديق ، فكان بذلك من السابقين الأولين حتى قال أبو إسحاق : كان أول الناس إسلامًا بعد أبى بكر وعليّ وزيد بن حارثة عثمان [٣] ، فكان بذلك رابع مَنْ أسلم من الرجال ، ولعل سبقه هذا إلى الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند عودته من الشام ، وقد قصه رضي الله عنه على رسول الله ﷺ حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن ، وأنبأهما بحقوق الإسلام ووعدها الكرامة من الله فآمنا وصدقا ، فقال عثمان رضي الله عنه : يا رسول الله ، قدمت حديثًا من الشام ، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام إذا منادٍ ينادينا ، أيها النيام هبوا فإن أحمد

---

(١) عبقرية عثمان ، للعقاد ، (ص ٧٢) .
(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي (٦١٨/١) .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٧/١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

قد خرج بمكة ، فقدمنا فسمعنا بك [١] ، لا شك أن هذه الحادثة تترك في نفس صاحبها أثرًا إيجابيًا لا يستطيع أن يتخلى عنه ، عندما يرى الحقيقة ماثلة بين عينيه ، فمن ذا الذي يسمع بخروج النبي قبل أن يصل إلى البلد الذي يعيش فيه حتى إذا نزله ووجدت الأحداث والحقائق تنطق كلها بصدق ما سمع به ، ثم يتردد في إجابة الدعوة ؟ ، لا يستطيع الإنسان مهما كان مكابراً إلا أن يذعن للحق ، ومهما أظهر الجفاء فإن ضميره ، لا يزال يتلجلج في صدره حتى يؤمن به أو يموت فيتخلص من وخز الضمير وتأنيبه ولم تكن سرعة تلبيته عن طيش أو حمق ، ولكنها كانت على يقين راسخ ، وتصديق لا يتطرق إليه شك [٢] ، فقد تأمل في هذه الدعوة الجديدة بهدوء كعادته في معالجة الأمور ، فوجد أنها دعوة إلى الفضيلة ، ونبذ الرذيلة ، دعوة إلى التوحيد وتحذير من الشرك ، دعوة إلى العبادة وترهيب من الغفلة ، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، وترهيب من الأخلاق السيئة ، ثم نظر إلى قومه ، فإذا هم يعبدون الأوثان ، ويأكلون الميتة ، ويسيئون الجوار ، ويستحلون المحارم من سفك الدماء وغيرها [٣] ، وإذا بالنبي محمد بن عبد الله ﷺ صادقٌ أمين يُعرف عنه كل خير ، ولا يعرف عنه شر قط ، فلم تعهد عليه كذبة ، ولم تحسب عليه خيانة ، فإذا هو يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى صلة الرحم ، وحسن الجوار ، والصلاة والصوم ، وألا يُعبد غير الله [٤] ، فأسلم على يد أبي بكر الصديق ، ومضى في إيمانه قدمًا ، قويًا ، هاديًا ، وديعًا ، صابرًا ، عظيمًا ، راضيًا ، عفوًا كريمًا ، محسنًا رحيمًا ، سخيًا باذلاً ، يؤاسي المؤمنين ، ويُعين المستضعفين ، حتى اشتدت قناة الإسلام [٥] .

---

(١) الطبقات ، لابن سعد (٣/٥٥) .
(٢) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين (ص ٣٠٢) .
(٣) انظر : مرويات العهد المكي ، عادل عبد الغفور (٢/٨٠٥) .
(٤) فتنة مقتل عثمان (١/٣٧) .
(٥) عثمان بن عفان ، صادق عرجون ، (ص ٥٣) .

وفي إسلام عثمان قالت خالته سعدى بنت كريز :

هدى الله عثمانًا بقولي إلى الهدى ... وأرشده والله يهدي إلى الحقِ
فتابع بالرأي السديد محمداً ... وكان برأي لا يصدُ عن الصدقِ
وأنكحه المبعوث بالحق بنتهُ ... فكان كبدرٍ مازج الشمس في الأفق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي ... وأنت أمين الله أُرسلت للخلقِ [١]

خامسًا : زواجه من رقية بنت رسول الله ﷺ :

فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحًا شديداً ، وتوثقت بينه وبينهم عُرى المحبة وأخوة الإيمان ، وأكرمه الله تعالى بالزواج من بنت رسول الله ﷺ رقية ، وقصة ذلك أن رسول الله ﷺ كان قد زوجها من عتبة بن أبى لهب ، وزوّج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبى لهب ، فلما نزلت سورة المسد : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤** ﴾ [المسد] ، قال لهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية ، فارقا ابنتي محمد ، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما ، وهوانًا لإبني أبي لهب [٢] ، وما كاد عثمان بن عفان رضي الله عنه يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار [٣] فرحًا ... وبادر فخطبها من رسول الله ﷺ فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه ، وزفتها [٤] أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة ، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة ، فكان يقال لها حين زُفت إليه :

أحسن زوجين رآهما إنسان ... رُقيةُ وزوجها عثمان [٥]

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢١٠) .
(٢) ذو النورين عثمان بن عفان ، محمد رشيد رضا ، (ص ١٢) .
(٣) كاد يطير من شدة الفرح .
(٤) زفتها : قدمتها إلى زوجها .
(٥) أنساب الأشراف ، (ص ٨٩) .

وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي : أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهى تغسل رأس عثمان ، فقال : « **يا بُنية أحسني إلى أبى عبد الله ، فإنه أشبه أصحابي بي خُلُقًا** » (١) .

ظنت أم جميل بنت حرب وزجها أبو لهب أنهما بتسريح رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما سيصيبان من البيت المحمدي مقتلاً ، أو سيوهنانه ، ولكن الله عز وجل اختار لرقية وأم كلثوم الخير ، ورد الشقيين أم جميل وأبا لهب بغيظهما لم ينالا خيراً وكفى الله البيت النبوي شرهما ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً (٢) .

سادسًا : ابتلاؤه وهجرته إلى الحبشة :

إن سُنَّة الابتلاء ماضية في الأفراد والجماعات والشعوب والأمم والدول ، وقد مضت هذه السُّنَّة في الصحابة الكرام وتحملوا من البلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات ، وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل الله ، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء ، فقد أوذي عثمان وعُذب في سبيل الله تعالى على يدي عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية الذى أخذه فأوثقه رباطًا وقال : أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟، والله لا أحُلُّك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين ، فقال عثمان رضي الله عنه : والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه (٣) ، واشتد الإيذاء بالمسلمين جميعًا ، وتجاوز الحد حيث قتل ياسر وزوجته سمية ، والنبي يتألم أشد الألم إلى أن يذهب المسلمون ؟ ، ثم اهتدى رسول الله ﷺ إلى الحبشة حيث قال للمسلمين : « **لو خرجتم إلى الحبشة ، فإن بها ملكًا صالحًا لا يُظلم عنده أحد** » (٤) .

وبدأت الهجرة والنبي ﷺ يتألم ، وهو يرى الفئة المؤمنة تتسلل سرًا (٥) ، خارجة

(١) رواه الطبراني ورجاله ثقات ، قاله الهيثمي ، المجمع رقم (١٤٥٠٠) .
(٢) دماء على قميص عثمان ، د . إبراهيم المنتاوي ، (ص ٨٤) .
(٣) التمهيد والبيان ، (ص ٢٢) .
(٤) الهجرة في القرآن الكريم ، (ص ٢٩٠) ؛ السيرة النبوية لابن هشام ٤١٣/١٠ .
(٥) دماء على قميص عثمان ، (ص ١٥) ؛ الطبقات (٢٠٤/١) .

من مكة ويركبون البحر ، وخرج يمتطى بعضهم الدواب ، والبعض الآخر يسير على الأقدام ، وتابعوا السير حتى وصلوا ساحل البحر الأحمر ، ثم أمروا عليهم عثمان بن مظعون ، وشاءت عناية الله أن يجدوا سفينتين ، فركبوا مقابل نصف دينار لكل منهم وعلمت قريش ، فأسرعت فى تعقبهم إلى الساحل ، ولكنهم كانوا قد أبحرت بهم السفينتان [١] ، وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية عثمان بن عفان ومعه فيهما امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان وصولهم للحبشة فى شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة ، فوجدوا الأمن والأمان وحرية العبادة ، وقد تحدث القرآن الكريم عن هجرة المسلمين الأوائل إلى أرض الحبشة ، قال تعالى : ﴿ **والَّذين هاجروا في اللَّه من بعد ما ظُلموا لنبوِّئنَّهم في الدُّنيا حسنةً ولأجرُ الآخرة أكبرُ لو كانوا يعلمون (٤١)** ﴾ [النحل : ٤١] .

وقد نقل القرطبى – رحمه الله – قول قتادة – رحمه الله – : المراد أصحاب محمد ﷺ ، ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم بوأهم الله تعالى دار الهجرة ، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين [٢] ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يا عبادِ الَّذين آمنُوا اتَّقُوا ربَّكُمْ للَّذين أحْسنُوا في هذه الدُّنْيا حسنةٌ وأرْضُ اللَّه واسعةٌ إنَّما يُوفَّى الصَّابرُونَ أجْرَهُم بغيْرِ حسابٍ (١٠)** ﴾ [الزمر : ١٠] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد جعفر بن أبي طالب والذين خرجوا معه إلى الحبشة [٣] ، وقد استفاد عثمان رضي الله عنه من هذه الهجرة وأضاف خبرة ودروساً لنفسه استفاد منها فى مسيرته الميمونة ، **ومن أهم هذه الدروس والعبر :**

[١] أن ثبات المؤمنين على عقيدتهم بعد أن ينزل بهم الأشرار والضالون أنواع العذاب والاضطهاد ، دليل على صدق إيمانهم وإخلاصهم في معتقداتهم ، وسمو

---

(١) الطبقات (٢٠٤/١) ؛ تاريخ الطبري (٦٩/٢) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٠) .
(٣) المصدر نفسه (٢٤٠/١٥) .

نفوسهم وأرواحهم ، بحيث يرون ما هم عليه من راحة الضمير واطمئنان النفس والعقل ، وما يأملونه من رضا الله جل شأنه أعظم بكثير مما ينال أجسادهم من تعذيب وحرمان واضطهاد ، لأن السيطرة في المؤمنين الصادقين والدعاة المخلصين ، تكون دائمًا وأبدًا لأرواحهم لا لأجسادهم ، وهم يسرعون إلى تلبية مطلب أرواحهم من حيث لا يبالون بما تتطلبه أجسامهم من راحة وشبع ولذة ، وبهذا تنتصر الدعوات وبهذا تتحرر الجماهير من الظلمات والجهالات [١] .

[٢] وقد تعلم عثمان رضي الله عنه من هدي النبي ﷺ الشفقة على الأمة وظهرت هذه الشفقة عندما تولى الخلافة وقبلها لما كان في المجتمع المدني في عهدي النبي ﷺ على أصحابه ورحمته بهم ، وحرصه الشديد للبحث عن أمنهم وراحتهم ، ولذلك أشار عليهم بالذهاب إلى الملك العادل الذي لا يُظلم عنده أحد ، فكان الأمر كما قال ﷺ فأمنوا فى دينهم ونزلوا عنده في خير منزل [٢] ، فالرسول ﷺ هو الذي وجّه الأنظار إلى الحبشة ، وهو الذي اختار المكان الآمن لجماعته ودعوته ؛ كي يحميها من الإبادة ، وهذه تربية نبوية لقيادات المسلمين في كل عصر أن تخطط بحكمة وبُعد نظر لحماية الدعوة والدعاة ، وتبحث عن الأرض الآمنة التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة ، ومركزًا من مراكز إنطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيسى للخطر ، أو وقع احتمال اجتياحه ، فجنود الدعوة هم الثروة الحقيقية ، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم وحمايتهم، دون أن يتم أي تفريط بأرواحهم وأمنهم ، ومسلم واحد يعادل ما على الأرض من بشر خارجين عن دين الله وتوحيده [٣] .

[٣] وتعلم عثمان رضي الله عنه من هدي النبي ﷺ في هجرة الحبشة أن الأخطار لابد أن يتجشمها المقربون إلى القائد وأهله ورحمه ، أما أن يكون خواص القائد في منأى

---

(١) السيرة النبوية للدكتور / مصطفي السباعي (ص ٥٧) .
(٢) الهجرة في القرآن الكريم ، (ص ٣١٢) .
(٣) التربية القيادية (١/٣٣٣) .

عن الخطر ، ويدفع إليه الأبعدون غير ذوي المكانة ، فهو منهج بعيد عن نهج النبي ﷺ [١] ، ولهذا لما تولى ذو النورين الخلافة كان أقرباؤه في مقدمة الجيوش ، فهذا عبد الله بن أبي سرح في فتوحات أفريقية ، وذلك عبد الله بن عامر في فتوحات المشرق ، وألزم معاوية أن يركب البحر ومعه زوجته وأن يكون في مقدمة الجيوش الغازية وسيأتى تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات .

[٤] كان عثمان رضي الله عنه أول من هاجر إلى الحبشة بأهله من هذه الأمة [٢] ، قال رسول الله ﷺ : « **صحبهما الله ، إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط** » [٣] .

ولما أشيع أن أهل مكة قد أسلموا ، وبلغ ذلك مهاجري الحبشة ، أقبلوا حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً ، فدخلوا في جوار بعض أهل مكة، وكان فيمن رجع عثمان بن عفان وزوجه رقية رضي الله عنها [٤] ، واستقر المقام به حتى أذن الله بالهجرة إلى المدينة ، ومنذ اليوم الذى أسلم فيه عثمان لزم النبي حيث كان ، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه ، أو في مهمة من المهام التي يُندب لها ، ولا يغني أحد فيها غناؤه ، شأنه في هذه الملازمة شأن الخلفاء الراشدين جميعًا ، كأنما هي خاصة من خواصهم رشحهم لها ما رشحهم بعد ذلك للخلافة متعاقبين [٥] ، لقد كان ذو النورين على صلة وثيقة بالدعوة الكبرى من سنتها الأولى، فلم يفته شيء من أخبار النبوة الخاصة والعامة في حياة النبي ﷺ ، ولم يفته شيء بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشيخين ، ولم يفته بعبارة أخرى شيء مما نسميه اليوم بأعمال التأسيس في الدولة الإسلامية [٦] .

---

(١) المصدر نفسه (٣٣٣/١) ؛ السيرة النبوية للصَّلابي (٣٤٨/١) .
(٢) الصواعق المرسلة ٣١٤/١٠) .
(٣) المعرفة والتاريخ (٢٦٨/٣) ضعيف الإسناد .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٤٠٢/١) .
(٥) عثمان بن عفان للعقاد (ص ٨٠) .
(٦) المصدر نفسه (ص ٧٨) .

المبحث الثاني

حياة عثمان رضي الله عنه مع القرآن الكريم

كان المنهج التربوي الذي تربى عليه عثمان بن عفان وكل الصحابة الكرام هو القرآن الكريم المُنزل من عند رب العالمين ، فهو المصدر الوحيد للتلقي ، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقي وتفرده ، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج الذي يتربى عليه الفرد المسلم والأسرة المسلمة ، والجماعة المسلمة ، فكانت الآيات الكريمة التي سمعها عثمان رضي الله عنه من رسول الله ﷺ مباشرة لها أثرها في صياغة شخصية ذي النورين الإسلامية فقد طهّرت قلبه وزكت نفسه ، وتفاعلت معها روحه ، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته [١] ، وقد تعلق عثمان رضي الله عنه بالقرآن الكريم وحدثنا أبو عبد الرحمن السُّلمي كيف تعلمه من رسول الله ﷺ ، وله أقوال تدل على حبه الشديد للعيش مع كتاب الله تعالى ، فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن – كعثمان ابن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما – أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة [٢] ، وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** (٢٩) ﴾ [ص : ٢٩] ، وقد روى عثمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قوله : « **خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه** » [٣] .

وقد عرض القرآن الكريم كاملاً على رسول الله ﷺ قبل وفاته ، ومن أشهر

---

(١) السيرة النبوية للصَّلابي (١/١٤٥) .
(٢) الفتاوى (١٣/١٧٧) .
(٣) البخاري ، فضائل القرآن ، رقم (٥٠٢٧) .

تلاميذ عثمان فى تعلم القرآن الكريم ، أبو عبد الرحمن السُّلمي ، والمغيرة بن أبى شهاب ، وأبو الأسود ، وزِرّ بن حُبَيْش [١] ، وقد حفظ لنا التاريخ بعض أقوال عثمان رضي الله عنه في القرآن الكريم حيث قال : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل [٢] ، وقال : إني لأكره أن يأتي عليّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله [٣] – يعني المصحف – وقال : حُبِّب إليَّ من الدنيا ثلاث : إشباع الجيعان ، وكسوة العريان ، وتلاوة القرآن [٤] ، وقال : أربعة ظاهرهن فضيلة وباطنهن فريضة : مخالطة الصالحين فضيلة والاقتداء بهم فريضة ، وتلاوة القرآن فضيلة ، والعمل به فريضة ، وزيارة القبور فضيلة ، والاستعداد للموت فريضة ، وعيادة المريض فضيلة ، واتخاذ الوصية منه فريضة [٥] ، وقال رضي الله عنه : أضيع الأشياء عشرة : عالم لا يُسألُ عنه ، وعلم لا يعُمل به ، ورأي صواب لا يُقبل ، وسلاح لا يُستعمل ، ومسجد لا يُصلى فيه ، ومصحف لا يُقرأ فيه ، ومال لا يُنفق منه ، وخيل لا تُركب ، وعلم الزهد في بطن من يريد الدنيا ، وعمر طويل لا يتزود صاحبه فيه لسفره [٦] .

وكان رضي الله عنه حافظاً لكتاب الله ، وكان حُجْره لا يكاد يفارق المصحف ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه مبارك جاء به مبارك [٧] ، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم [٨] النظر فيه ، وقالت امرأة عثمان يوم الدار ! اقتلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة [٩] ، وقد ذُكر عنه أنه

---

(١) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين للذهبي (ص ٤٦٧) .
(٢) الفتاوى (١٢٢/١١) ؛ البداية والنهاية (٢٢٥/٧) .
(٣) البداية والنهاية (٢٢٥/٧) ؛ فرائد الكلام ، (ص ٢٧٥) .
(٤) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد ، (ص ٨٨) .
(٥) المصدر نفسه ، (ص ٩٠) ؛ فرائد الكلام ، (ص ٢٧٨) .
(٦) المصدر نفسه ، (ص ٩١) ؛ فرائد الكلام ، (ص ٢٧٨) .
(٧) البيان والتبيان (١٧٧/٣) ، فرائد الكلام ، (ص ٢٧٣) .
(٨) يديم : يطيل ؛ البداية والنهاية (٢٢٥/٧) .
(٩) البداية والنهاية (٢٢٥/٧) .

قرأ القرآن ليلة في ركعة لم يصل غيرها [١] ، وقد تحقق فيه قول الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٩) ﴾[الزمر: ٩] .

لقد تشرب عثمان رضي الله عنه بالمنهج القرآني وتتلمذ على يدي رسول الله ﷺ ، وعرف من خلال القرآن الكريم من هو الإله الذي يجب أن يعبده ، وكان النبي ﷺ يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة فقد حرص ﷺ أن يربي أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم ، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس وتستقيم الفطرة ، فأصبحت نظرة ذي النورين إلى الله عز وجل ، والكون والحياة والجنة والنار ، والقضاء والقدر ، وحقيقة الإنسان ، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ .

فالله سبحانه وتعالى مُنزه عن النقائض موصوفٌ بالكمالات التي لا تتناهي فهوة سبحانه واحد لا شريك له ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

وأنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية ، وهذا التوحيد في القرآن الكريم [٢] ، وأما نظرته للكون فقد استمدها من قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾ [فصلت : ٩-١٢] .

وأما هذه الحياة مهما طالت فهي إلى زوال ، وأن متاعها مهما عظم فإنه قليل

---

(١) الخلافة الراشدة والدولة الأموية ، (ص ٣٩٧) .

(٢) منهج الرسول ﷺ في غرس الروح الجهادية (ص ١٠ - ١٦) .

حقير ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)** ﴾ [يونس : ٢٤] .

وأما نظرته إلى الجنة ، فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة ، فأصبح هذا التصور رادعًا في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله فيرى المتتبع لسيرة ذي النورين عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل ، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه ، وسنرى ذلك في صفحات هذا البحث بإذن الله تعالى .

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله ﷺ له ، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه ، واستوعب مراتبه في كتاب الله تعالى ، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شيء ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)** ﴾ [يونس : ٦١] ، وأن الله تعالى قد كتب كل شيء كائن ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)** ﴾ [يس : ١٢] ، وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)** ﴾ [فاطر : ٤٤] ، وأن الله خالق لكل شيء ﴿ **ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)** ﴾ [الأنعام :١٠٢] .

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة ظهرت في حياته وسنراها بإذن الله تعالى في هذا الكتاب ، وعرف

من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبني الإنسان وأن حقيقة خلقه ترجع إلى أصلين : الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين ، حين سواه ونفخ فيه الروح والأصل القريب وهو خلقه من نطفة ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٩)** ﴾ .

[السجدة : ٧ – ٩] .

وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة ، ومنحه العقل والنطق والتمييز وسخر له ما في السموات والأرض ، وفضله على كثير من خلقه وكرمه بإرسال الرسل له ، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى عز وجل للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضاه ويكون ذلك بإتباع النبي ﷺ الذي دعا الناس إلى الإسلام لكي يحيوا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)** ﴾ [النحل : ٩٧] .

وعرف عثمان رضي الله عنه من خلال القرآن الكريم حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان ، وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله يوسوس له بالمعصية ، ويستثير فيه كوامن الشهوات ، فكان مستعيناً بالله على عدوه إبليس وانتصر عليه في حياته ، وتعلم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم ، أن آدم هو أصل البشر ، وجوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله ، وأن الإنسان له قابلية للوقوع في الخطيئة ، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه وأهمية التوبة والاستغفار في حياة المؤمن ، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر ، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع الصحابة لقول الله تعالى : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)** ﴾

[الإسراء : ٥٣] .

لقد أكرم المولى عز وجل عثمان بن عفان رضي الله عنه بالإسلام ، فعاش به وجاهد به من أجل نشره ، واستمد أصوله وفروعه من كتاب الله وهدي النبي ﷺ ، وأصبح من أئمة الهدى الذين يرسمون للناس خط سيرهم ، ويتأسى الناس بأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة ، ولا ننسى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان من كُتَّاب الوحى لرسول الله ﷺ [١] .

(١) السياسة المالية لعثمان ، (ص ٢٢) ، التبيين في أنساب القرشيين (ص ٩٤) .

obeikandl.com

المبحث الثالث

ملازمته للنبي ﷺ في المدينة

إن الرافد القوي الذي أثر في شخصية عثمان رضي الله عنه وصقل مواهبه ، وفجر طاقته ، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله ﷺ وتتلمذه على يديه في مدرسة النبوة ، ذلك أن عثمان رضي الله عنه لازم الرسول ﷺ في مكة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته ، فقد نظم عثمان نفسه ، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشرية وهاديها ، والذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فحرص على تعلم القرآن الكريم ، والسُّنَّة المطهرة من سيد الخلق أجمعين ، وهذا عثمان يحدثنا عن ملازمته لرسول الله ﷺ فيقول :

إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمن ، فهاجرت الهجرتين الأوليين ، ونلت صهر رسول الله ﷺ ورأيت هَدْيه [١] .

لقد تربى عثمان رضي الله عنه على المنهج القرآني وكان المربي له رسول الله ﷺ وكانت نقطة البدء في تربية عثمان هي لقاؤه برسول الله ﷺ ، فحدث له تحول غريب واهتداء مفاجئ بمجرد اتصاله بالنبي ﷺ فخرج من دائرة الظلام إلى دائرة النور ، واكتسب الإيمان ، وطرح الكفر وقوى على تحمل الشدائد ، والمصائب في سبيل الإسلام وعقيدته السمحة ، كانت شخصية رسول الله ﷺ تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين ، فقد صنعه الله على عينه ، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض والعظمة دائمًا تُحب ، وتحاط من الناس بالإعجاب ، ويلتف حولها المعجبون ويلتصقون بها التصاقًا بدافع الإعجاب والحب ، ولكن رسول الله ﷺ يضيف إلى

---

(١) فضائل الصحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (٥٩٧/١) ، إسناده صحيح .

عظمته تلك ، أنه رسول الله ﷺ مُتلقي الوحي من الله ، ومبلغه إلى الناس ، وذلك بُعدٌ آخر له أثره في تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه ، فهو لا يحبه لذاته فقط كما يُحب العظماء من الناس ، ولكن أيضاً لتلك النفخة الربانية التي تشمله من عند الله ، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم ، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول ﷺ البشر العظيم والرسول العظيم ، ثم يصبحان شيئًا واحداً في النهاية ، غير متميز البداية ولا النهاية ، حب عميق شامل للرسول البشر ، أو للبشر الرسول ، ويرتبط حب الله بحب رسوله ﷺ ويمتزجان في نفسه ، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها ، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك .

كان هذا الحب الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم هو مفتاح التربية الإسلامية ونقطة ارتكازها ومنطلقها الذي تنطلق منه [١] ، لقد حصل لعثمان رضي الله عنه وللصحابة ببركة صحبتهم لرسول الله ﷺ وتربيتهم على يديه أحوال إيمانية عالية ، ولقد تتلمذ عثمان رضي الله عنه على يدي رسول الله ، فتعلم منه القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية ، وأحكام التلاوة وتزكية النفوس ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وحرص على التبحر في الهدي النبوي الكريم خلال ملازمته لرسول الله ﷺ في غزواته وسلمه ، وقد أمدته تلك المعايشة بخبرة ودربة ودراية بشؤون الحرب ومعرفة بطبائع النفوس وغرائزها .

وفي الصفحات القادمة سنبين بإذن الله تعالى ، مواقفه في الميادين الجهادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية مع رسول الله في العهد المدني .

---

(١) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، (ص ٣٤ ، ٣٥) .

أولاً : عثمان رضي الله عنه في ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ :

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية فآخى بين المهاجرين والأنصار ، فكل مهاجري يتخذ أخًا له من الأنصار فكان نصيب عثمان بن عفان رضي الله عنه في المؤاخاة أوس بن ثابت [١] ، ثم أقام النبي ﷺ المسجد ، وأبرم المعاهدة مع اليهود ، وبدأت حركة السرايا واهتم بالبناء الاقتصادى والتعليمى والتربوي في المجتمع الجديد ، وكان عثمان رضي الله عنه من أعمدة الدولة الإسلامية فلم يبخل بمشورةٍ أو مالٍ أو رأي ، وشهد المشاهد كلها إلا غزوة بدر [٢] .

[١] عثمان رضي الله عنه وغزوة بدر :

لما خرج المسلمون لغزوة بدر كانت زوجة عثمان السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ مريضة بمرض الحصبة ، ولزمت الفراش في الوقت الذي دعا فيه رسول الله ﷺ للخروج لملاقاة القافلة ، وسارع عثمان رضي الله عنه للخروج مع رسول الله ﷺ ، إلا أنه تلقى أمراً بالبقاء إلى جانب رقية رضي الله عنها لتمريضها ، وامتثل لهذا الأمر بنفس راضية وبقي إلى جوار زوجته الصابرة الطاهرة رُقية ابنة رسول الله ﷺ إذا اشتد بها المرض ، وطاف بها شبح الموت ، كانت رقية رضي الله عنها تجود بأنفاسها وهي تتلهف لرؤية أبيها الذي خرج إلى بدر ، ورؤية أختها زينب في مكة ، وجعل عثمان رضي الله عنه يرنوا إليها من خلال دموعه ، والحزن يعتصر قلبه [٣] ، ودّعت نبض الحياة وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولحقت بالرفيق الأعلى ، ولم ترَ أباها رسول الله ﷺ حيث كان ببدر مع أصحابه الكرام يعلون كلمة الله ، فلم يشهد دفنها ﷺ ، وجُهزت رقية ثم حُمل جثمانها الطاهر على الأعناق ، وقد سار خلفه زوجها عثمان وهو حزين ، حتى إذا بلغت الجنازة البقيع ، دُفنت رقية هناك ، وقد انهمرت دموع

---

(١) الأمين ذو النورين ، (ص ٤٠) .
(٢) الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار ، (ص ٢٦٩) .
(٣) نساء أهل الجنة ، أحمد خليل جمعة ، (ص ٤٩١ – ٥٠٤) .

المشيعين وسوى التراب على قبر رقية بنت رسول الله ﷺ ، وفيما هم عائدون إذ بزيد بن حارثة رضي الله عنه قد أقبل على ناقة رسول الله ﷺ يبشر بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسر أبطالهم ، وتلقى المسلمون في المدينة هذه الأنباء بوجوه مستبشرة بنصر الله لعباده المؤمنين ، وكان من بين المستبشرين وجه عثمان الذي لم يستطع أن يخفي آلامه لفقده رقية رضي الله عنها .

وبعد عودة الرسول ﷺ علم بوفاة رقية رضي الله عنها فخرج إلى البقيع ووقف على قبر ابنته يدعو لها بالغفران [١] .

لم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه ممن تخلفوا عن بدر لتقاعس منه أو هروب ينشده ، كما يزعم أصحاب الأهواء ممن طعن عليه بتغيبه عن بدر ، فهو لم يقصد مخالفة الرسول ﷺ ، لأن الفضل الذي جازه أهل بدر في شهود بدر طاعة الرسول ومتابعته ، وعثمان رضي الله عنه خرج فيمن خرج مع رسول الله فردّه ﷺ للقيام على ابنته فكان في أجل فرض لطاعته لرسول الله وتخليفه ، وقد ضرب له بسهمه وأجره فشاركهم في الغنيمة والفضل والأجر لطاعته الله ورسوله وانقياده لهما [٢] ، فعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجلٌ من مصر حج البيت فقال : يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني ، أنشدك الله بحرمة هذا البيت ، هل تعلم أن عثمان تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ ، فقال نعم ، ولكن أما تغيبه عند بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله فمرضت فقال له رسول الله ﷺ : لك أجر رجل شهد بدراً وسهمه [٣] ، وعن أبي وائل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : أما يوم بدر فقد تخلفت على بنت رسول الله وقد ضرب رسول الله لي فيها بسهم وقال زائدة في حديثة : ومن ضرب له رسول الله ﷺ فيها بسهم فقد شهد [٤] ، وقد عُد

---

(١) دماء على قميص عثمان بن عفان (ص ٢٠) .
(٢) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ، للأصبهاني ، (ص ٣٠٢) .
(٣) البخاري رقم (٣٦٩٨) .
(٤) الإمامة والرد على الرافضة ، (ص ٣٠٤) .

عثمان رضي الله عنه من البدريين بالاتفاق [١] .

[٢] عثمان رضي الله عنه وغزوة أُحد :

في غزوة أُحد منح الله عز وجل النصر للمسلمين في أول المعركة ، وأخذت سيوف المسلمين تعمل عملها في رقاب المشركين ، وكانت الهزيمة لا شك فيها ، وقتل أصحاب لواء المشركين واحداً واحداً ، ولم يقدر أحد أن يدنو من اللواء ، وانهزم المشركون ، وولت النسوة بعد أن كن يغنين بحماس ويضربن بالدفوف ، فألقين بالدفوف وانصرفنّ مذعورات إلى الجبل كاشفات سيقانهن ...

ولكن مال ميزان المعركة فجأة ، وكان سبب ذلك أن الرماة الذين أوكل إليهم النبي مكاناً على سفح الجبل لا يغادرونه مهما كانت نتيجة المعركة ، قد تخلوا إلا قليلاً عن أماكنهم ، ونزلوا إلى الساحة يطلبون الغنائم لما نظروا المسلمين يجمعونها ، وانتهز خالد بن الوليد قائد سلاح الفرسان القرشي فرصة خلو الجبل من الرماة ، وقلة من به منهم ، فكرّ بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فقتلوا بقية الرماة ومعهم أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ، الذى ثبت هو وطائفة قليلة معه ، وفي غفلة المسلمين وأثناء انشغالهم بالغنائم أطبق خالد ومن معه عليهم ، فأعملوا فيهم القتل ، فاضطرب أمر المسلمين اضطراباً شديداً ، وانهزمت طائفة من المسلمين إلى قرب المدينة منهم عثمان بن عفان ، ولم يرجعوا حتى انفض القتال ، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتل ، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ، أما الفرقة التي انهزمت وفرت فلقد أنزل الله فيها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** (١٥٥) ﴾ [آل عمران : ١١٥] ، غير أن أصحاب الأهواء لا يرون إلا ما تهوى أنفسهم ، فلم يروا من المتراجعين ، إلا عثمان رضي الله عنه ،

---

(١) عثمان بن عفان ، صادق عرجون (ص ٤٧) .

فكانوا يتهمونه دون سائر المتراجعين من الصحابة رضي الله عنهم ، وهل يبقى وحده ؟ ، ولو فعل لخاطر بنفسه [١] ، وبعد أن عفا الله عن المتراجعين فالحكم واضح جليّ ، لا لبس فيه ولا غموض ، فلا مؤاخذة بعد ذلك على عثمان بن عفان رضي الله عنه [٢] ، فيكفي أن الله عفا عنه بنص القرآن الكريم ، وحياته الجهادية بمجموعها تشهد له على شجاعته .

[٣] في غزوة غطفان [ذي إمر] :

ندب رسول الله ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة رجلاً ومعهم بعض الجياد ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأصابوا رجلاً منهم « بذي القُصة » يقال له جبار من بني ثعلبة ، فأدخل على رسول الله ﷺ ، فأخبره من خبرهم ، وقال : لن يلاقوك لما سمعوا بمسيرك ، هربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ، وضمّه رسول الله ﷺ إلى بلال ولم يلاق رسول الله ﷺ أحداً ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلقَ كيداً ، وكانت غيبته إحدى عشر ليلة [٣] .

[٤] في غزوة ذات الرقاع :

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعًا من غطفان من ثعلبة وأنمار يريدون غزو المدينة فخرج في أربعمائة من أصحابه حتى قدم صراراً ، وكان رسول الله ﷺ قد استخلف على المدينة قبل خروجه عثمان بن عفان ، لقي المسلمون جمعاً غفيراً من غطفان ، وتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خالف الناس بعضهم بعضًا ، حتى صلّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس ، وقد غاب عن المدينة خمسة عشر يومًا [٤] .

---

(١) الأمين ذو النورين ، (ص ٤٩) .
(٢) ذو النورين مع النبي ﷺ ، د . عاطف لماضة ، (ص ٣٢) .
(٣) الروض الأنف (١٣٧/٣) ؛ الطبقات لابن سعد (٣٥,٣٤/٢) .
(٤) الأمين ذو النورين ، (ص ٥٢ ، ٥٣) .

[٥] في بيعة الرضوان :

عندما نزل رسول الله الحديبية رأى من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جانبه إلى قريش يبلغهم فيها نواياه السليمة بعدم الرغبة في القتال ، وحرصه على احترام المقدسات ، ومن ثم أداء مناسك العمرة ، والعودة إلى المدينة ، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرسول ﷺ إلى قريش « خراش بن أمية الخزاعي » وحمله على جمل يقال له « الثعلب » ، فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش ، فعاد خراش ابن أمية إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما صنعت قريش ، فأراد رسول الله ﷺ أن يرسل سفيراً آخر بتبليغ قريش رسالة رسول الله ﷺ ، ووقع الاختيار في بداية الأمر على عمر بن الخطاب [١] ، فاعتذر لرسول الله ﷺ عن الذهاب إليهم ، وأشار على رسول الله ﷺ أن يبعث عثمان مكانه [٢] .

وعرض عمر رضي الله عنه رأيه هذا معززاً بالحجة الواضحة ، وهي ضرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء ، وحيث إن هذا الأمر لم يكن متحققاً بالنسبة لعمر رضي الله عنه ، فقد أشار على النبي ﷺ بعثمان رضي الله عنه ، لأن له قبيلته تحميه من أذى المشركين ، حتى يبلّغ رسالة رسول الله ﷺ [٣] ، وقال لرسول الله ﷺ : « إني أخاف قريشًا على نفسي ، قد عرفت عداوتي لها ، وليس بها من بني عدي من يمنعني ، وإن أحببت يارسول الله دخلت عليهم [٤] ، فلم يقل رسول الله ﷺ شيئًا ، قال عمر : ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع، عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه ، فقال : اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت ، معظمين لحرمته ، معنا الهدى ، ننحره

---

(١) غزوة الحديبية ، لأبي فارس ، (ص ٨٣) .
(٢) المغازي (٢/٦٠٠) .
(٣) المصدر نفسه (٢/٦٠٠) .
(٤) المصدر نفسه (٢/٦٠٠) .

وننصرف ، فخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى أتى بلدح [١] ، فوجد قريشًا هناك فقالوا : أين تريد ؟ قال : بعثني رسول الله ﷺ إليكم يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، تدخلون في دين الله كافة ، فإن الله مُظهر دينه ومعز نبيه ، وأخرى تكفون ويلي هذا منه غيركم فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم ، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامون ، إن الحرب قد نهكتكم وأذهبت بالأماثل منكم ، فجعل عثمان يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون ويقولون : قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبداً ، ولا دخلها علينا عنوة ، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا، فقام إليهم أبان بن سعيد بن العاص فرحب به وأجاره وقال: لا تقصر عن حاجتك ، ثم نزل عن فرس كان عليه ، فحمل عثمان على السرح وردفه وراءه ، فدخل عثمان مكة ، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً ، أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية وغيرهم من لقي ببلدح، ومنهم من لقي بمكة فجعلوا يردون عليه : إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً [٢] ، وعرض المشركون على عثمان رضي الله عنه أن يطوف بالبيت فأبى [٣] ، وقام عثمان بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى المستضعفين بمكة وبشرهم بقرب الفرج والمخرج [٤] ، وأخذ منهم رسالة شفهية إلى رسول الله ﷺ جاء فيها : اقرأ على رسول الله ﷺ منا السلام ، إن الذي أنزله بالحديبية لقادر على أن يدخله بطن مكة [٥] ، وتسربت شائعة إلى المسلمين مفادها أن عثمان قُتِل ، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم ، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت [٦] ، سوى الجد بن قيس وذلك لنفاقه [٧] ، وفي رواية

---

(١) مكان قريب من مكة .
(٢) زاد المعاد (٣/٢٩٠) ؛ السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣٤٤) .
(٣) زاد المعاد ٣/٢٩٠) .
(٤) نفس المصدر (٣/٢٩٠) .
(٥) غزوة الحديبية ، لأبي الفارس (ص ٨٥) .
(٦) البخاري ، رقم الحديث (٤١٦٩) .
(٧) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، (ص ٤٨٦) .

أن البيعة كانت على الصبر [١] ، وفى رواية على عدم الفرار [٢] ، ولا تعارض في ذلك لأن المبايعة على الموت تعني الصبر وعدم الفرار [٣] ، وكان أول من بايعه على ذلك أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدى [٤] ، فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته [٥] ، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات ، فى أول الناس ، وأوسطهم ، وآخرهم [٦] ، وقال النبي ﷺ : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده [٧] ، وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول المبايعة تحت الشجرة ألف وأربعمائة صحابي [٨] ، وقد تحدث القرآن عن أهل بيعة الرضوان ، وورد فضلهم في نصوص كثيرة من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية منها :

١ – قال تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)** ﴾ [الفتح : ١٠] .

٢ – قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)** ﴾ .

[الفتح : ١٧ ، ١٨] .

٣ – قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية « **أنتم خير أهل الأرض**» ،وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة [٩] .

---

(١) البخاري رقم (٤١٦٩) .
(٢) مسلم رقم (١٨٥٦) .
(٣) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (٤٨٦) .
(٤) المصدر نفسه ، (ص ٤٨٦).
(٥) المصدر نفسه ، (ص ٤٨٦).
(٦) زاد المعاد (٢٩١/٣) .
(٧) صحيح السيرة النبوية ، (ص ٤٠٤) .
(٨) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (٤٨٢) .
(٩) مسلم (١٤٨٥/٣) .

هذا الحديث صريح في فضل أصحاب الشجرة فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما ... وتمسك به بعض الشيعة في تفضيل عليّ على عثمان لأن علياً كان من جملة من خُوطب بذلك ، وممن بايع تحت الشجرة ، وكان عثمان حينئذ غائبًا – وهذا التمسك باطل – لأن النبي ﷺ بايع عنه ، فاستوى معهم عثمان في الخيرية المذكورة ، ولم يقصد في الحديث إلى تفضيل بعضهم على بعض [١] ، وفي الحديبية ذكر المحب الطبري اختصاص عثمان بعدة أمور منها ؛ اختصاصه بإقامة يد النبي الكريمة مقام عثمان لما بايع الصحابة وعثمان غائب ، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى مَنْ بمكة أسيراً من المسلمين ، وذكر شهادة النبي لعثمان بموافقته في ترك الطواف لما أرسل تلك الرسالة [٢] ، فعن إياس ابن سلمة عن أبيه أن النبي ﷺ بايع عثمان إحدى يديه على الأخرى فقال الناس : هنيئًا لأبي عبد الله الطواف بالبيت آمنًا ، فقال النبي ﷺ : « **لو مكث كذا ما طاف حتى أطوف** » [٣] .

وقد اتُهم عثمان ظلمًا بأنه لم يبايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وكان متغيبًا عنها !! ، فهذه من الاتهامات التي أُلصقت بعثمان في أحضان فتنة أُريد بها تقويض أركان الخلافة خاصة [٤] ، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى ، وعن أنس قال : لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة فبايعه الناس فقال : إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله ، فضرب بإحدى يديه على الأرض ، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم [٥] .

---

(١) فتح الباري (٤٤٣/٧) .
(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة (ص ٤٩٠ ، ٤٩١) .
(٣) المصدر نفسه ، (ص ٤٩١) في سنده ضعف .
(٤) ذو النورين مع النبي ﷺ ، (ص ٣٢) .
(٥) سير السلف الصالحين (١٨١/١) ، إسناده ضعيف ، والحديث صحيح ، سنن الترمذي رقم (٣٧٠٢) .

obeikandl.com

[٦] شفاعة عثمان بن عفان في عبد الله بن أبى السرح في فتح مكة :

لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبى السرح عند عثمان بن عفان ، فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله بايع عبد الله ، فرفع رأسه ، فنظر إليه ثلاثاً ، كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على الصحابة فقال : « **أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله** ، فقالوا : ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ، ألا أومأت إلينا بعينك ، قال : **إنه لا ينبغى لنبي أن يكون له خائنة الأعين** » [١] ، وجاء في رواية : لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله الناس إلا أربعة نفر : وقال : « **اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن سعد بن أبى السرح** » [٢] ، فأما عبد الله بن خطل فأُدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حارث وعمَّار بن ياسر فسبق سعيد عماراً ، وكان أشبَّ الرجلين ، فقتله ، وأما عكرمة فركب في البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا ههنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص لا ينجني في البر غيره ، اللهم لك عليَّ عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده ، ولأجدنَّه عَفُوّاً كريمًا ، فجاء وأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول الله الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ ثم ذكر الباقي كما مرّ معنا [٣] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكتب لرسول الله ﷺ ، فأزلَّه الشيطان فلحق بالكفار ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقتل يوم

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، (ص ١٠٩) .
(٢) أضواء البيان في تاريخ القرآن ، صابر أبو سليمان (ص ٧٩) .
(٣) المصدر نفسه (ص ٨٠) .

الفتح ، فاستجار له عثمان ، فأجاره رسول الله ﷺ [١] ، وذكر ابن إسحاق سبب أمر رسول الله بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه فقال : وإنما أمر رسول الله بقتله لأنه كان قد أسلم ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي ، فارتد مشركًا راجعًا إلى قريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفان وكان أخاه للرضاعة ، فغيّبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له ، قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر [٢] .

[٧] غزوة تبوك :

في العام التاسع الهجري ولى هرقل وجهه المتآمر صوب الجزيرة العربية متلمظًا برغبة شريرة في العدوان عليها والتهامها .. وأمر قواته بالاستعداد وانتظار أمره بالزحف ، وترامت الأنباء إلى الرسول ﷺ فنادى في أصحابه بالتهيؤ للجهاد ، وكان الصيف حارًا يُصهر الجبال ، وكانت البلاد تعاني الجدب والعسرة ، فإن قاوم المسلمون بإيمانهم وطأة الحر القاتل وخرجوا إلى الجهاد فوق الصحراء الملتهبة المتأججة ، فمن أين لهم العتاد ، والنفقات التي يتطلبها الجهاد ؟ ، لقد حض الرسول على التبرع ، فأعطى كل قدر وسعه ، وسارعت النساء بالحلي يقدمنه إلى رسول الله ﷺ يستعين به فى إعداد الجيش ... بيد أن التبرعات جميعها لم تكن لتغني كثيراً أمام المتطلبات للجيش الكبير ، ونظر الرسول ﷺ إلى الصفوف الطويلة العريضة من الذين تهيأوا للقتال وقال : من يجهز هؤلاء ، ويغفر الله له ؟ ، ما كاد عثمان يسمع نداء الرسول ﷺ هذا حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان ، وهكذا وجدت العسرة الضاغطة « عثمانها المعطاء » [٣] ، وقام رضي الله عنه بتجهيز الجيش حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام أو عقال .

---

(١) المصدر نفسه (ص ٨٠) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، (٥٧/٤ ، ٥٨) .

(٣) فتح الباري (٦٧/٧) ؛ خلفاء الرسول ﷺ ، (ص ٢٥٠) ؛ العشرة المبشرون بالجنة ، محمد صالح عوض (ص ٥٣) .

يقول ابن شهاب الزهري : قدّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً ، وستين فرساً أتم بها الألف ، وجاء عثمان إلى رسول الله ﷺ في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبها بين يديه ، فجعل الرسول يقلبها بيده ويقول : « **ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين** » (١) .

لقد كان عثمان رضي الله عنه صاحب القدح المعلى في الإنفاق في هذه الغزوة (٢) ، وهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال : شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة ، فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حضّ على الجيش فقام عثمان بن عفان ، فقال : يا رسول الله عليَّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول : « **ما على عثمان ما عمل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه** » (٣) ، وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال : جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة ، قال : فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول : « **ما ضرّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً** » (٤) .

إنه يبدو وكأنه الممول الوحيد للأمة الجديدة !! ومضى الرسول ﷺ على رأس جيشه حتى وصلوا موطناً يُدعي تبوك في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق ، وهناك جاءته الأنباء مبشرة بأن هرقل الذي كان يعد العدة للزحف من دمشق ، قد ثلم (●) الله عزمه ، وغادر دمشق نافضاً يديه من محاولته اليائسة بعد أن علم بخروج النبي ﷺ وأصحابه إليه ، ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمده به عثمان ، فهل استرجع من

---

(١) سُنن الترمذي رقم (٣٧٨٥) ؛ صحيح التوثيق ، (ص ٢٦) .
(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، (ص ٦١٥) .
(٣) سنن الترمذي رقم (٣٧٠٠) .
(٤) سنن الترمذي رقم (٣٧٠٢) .
(●) ثلم : يقال : ثلم الإناء ، أي : كسر حرفه فانكسر . المحيط .

ذلك شيئًا ؟ ... كلا وحشاه أن يفعل ... وقد ظل كما كان دومًا سريع التلبية لكل إيماءة من النبي ﷺ تعنى جديداً من البذل ، ومزيداً من العطاء [١] .

ثانيًا : من حياته الاجتماعية فى المدينة :

[١] زواجه من أم كلثوم رضي الله عنها ٣ هـ :

عُرفت أم كلثوم رضي الله عنها بكنيتها ، ولا يُعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزبيرى أن اسمها أمية ، وهى أكبر سنًا من فاطمة رضي الله عنها [٢] .

قال سعيد بن المسيب : تأيَّم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ ، وتأيَّمت حفصة بنت عمر من زوجها ، فمر عمر بعثمان ، فقال : هل لك في حفصة ، وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه ، وذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال : « **هل لك في خير من ذلك ؟ أتزوج حفصة ، وأزوج عثمان خيراً منها : أم كلثوم** » [٣] ، وفي رواية البخارى : قال عمر : تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله فتوفي في المدينة ، فقال عمر : أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر ، قال : فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة ، فقال : سأنظر في أمري ، فلبثت ليالٍ ، ثم لقيني فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق ، فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر الصديق ، فلم يرجع إليّ شيئًا ، فكنت عليه أوجد مني على عثمان ، فلبثت ليالٍ ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال : لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا ؟ ، قال عمر : نعم ، قال : لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ ، إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر

---

(١) خلفاء الرسول ﷺ ، (ص ١٣٨) ، العشرة المبشرون بالجنة (ص ٣١) .
(٢) الدوحة النبوية الشريفة ، فاروق حمادة (ص ٤٥ ، ٤٦) .
(٣) مستدرك الحاكم (٤٩/٤) ؛ الآثار لأبي يوسف رقم (١٩٥٧) .

رسول الله ، ولو تركها رسول الله قبلتها » [١] .

وتروى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما خبر زواج أم كلثوم من عثمان رضي الله عنه فتقول : لما زوج النبي ابنته أم كلثوم قال لأم أيمن : هيئ ابنتي أم كلثوم وزفيها إلى عثمان ، وخفقي [٢] بين يديها بالدف ، ففعلت ذلك ، فجاءها النبي ﷺ بعد الثالثة فدخل عليها فقال : يا بُنية كيف وجدت بعلك ؟ قالت : خير بعل [٣] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، وقف عند باب المسجد فقال : يا عثمان هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية ، وعلى مثل صحبتها ، وكان ذلك سنة ثلاث من الهجرة النبوية ، في ربيع الأول ، وبنى في جمادى الآخرة [٤] .

[٢] وفاة عبد الله بن عثمان :

وفي جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة مات عبد الله بن عثمان رضي الله عنه من رقية بنت رسول الله ﷺ ، وهو ابن ست سنين فصلى رسول الله ﷺ عليه ، ونزل حفرته والده عثمان [٥] ، وهذه محنة عظيمة تعرض لها عثمان وما أكثر المحن في حياة الدعاة إلى الله تعالى .

[٣] وفاة أم كلثوم رضي الله عنها :

ولم تزل أم كلثوم عند عثمان رضي الله عنهما إلى أن توفيت فى شعبان سنة تسع من الهجرة ، بسبب مرض نزل بها ، وصلى عليها رسول الله ﷺ ، وجلس على قبرها ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ جالسا على قبر أم كثلوم وقال : فرأيت عينيه تدمعان ، فقال : هل منكم رجل لم يقارف الليلة ؟ ، فقال أبو طلحة : أنا ،

---

(١) البخاري ، كتاب النكاح ، رقم (٥١٢٢) .
(٢) خفق : اضطرب وتحرك .
(٣) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٢٣١) ؛ دماء على قميص عثمان ، (ص ٢٢) .
(٤) سنن ابن ماجة رقم (١١٠) ، وفيه عثمان بن خالد وهو ضعيف .
(٥) الكامل لابن الأثير (٢/١٣٠) ؛ دماء على قميص عثمان ، (ص ٢٢) .

قال : فانزل في قبرها [١] ، وعن ليلى بنت قانف الثقفية قالت : كنت فيمن غسّل أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ عند وفاتها ، فكان أول ما أعطانا رسول الله ﷺ الحقو ، ثم الدرع ، ثم الخمار ، ثم الملحفة ، ثم أدرجت بعده في الثوب الآخر ، قالت : ورسول الله ﷺ عند الباب ومعه كفنها يناولنا إياه ثوباً ثوباً [٢] ، وجاء عند ابن سعد أن عليّ بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وأسامة بن زيد ، قد نزلوا في حفرتها مع أبي طلحة ، وأن التي غسلتها هي أسماء بنت عميس ، وصفية بنت عبد المطلب [٣] .

وقد تأثر عثمان رضي الله عنه وحزن حزناً عظيماً على فراقه لأم كلثوم رضي الله عنها ، ورأى رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه وهو يسير منكسراً وفي وجهه حزن لما أصابه ، فدنا منه وقال : « **لو كانت عندنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان** » [٤] ، وهذا دليل حب رسول الله ﷺ لعثمان ، ودليل وفاء عثمان لنبيه وتوقيره ، وفيه دليل على نفي ما اعتاده الناس من التشاؤم في مثل هذا الموطن ، فإن قدر الله ماضٍ وأمره نافذ ولا رادّ لأمره [٥] .

ثالثًا : من مساهمته الاقتصادية فى بناء الدولة :

كان عثمان رضي الله عنه من الأغنياء الذين أغناهم الله عز وجل ، وكان صاحب تجارة وأموال طائلة ، ولكنه استخدم هذه الأموال في طاعة الله عز وجل وابتغاء مرضاته وما عنده ، وصار سبّاقًا لكل خير ينفق ولا يخشى الفقر ، ومما أنفقه رضي الله عنه من نفقاته الكثيرة ، على سبيل المثال ما يأتى :

---

(١) البخاري ، كتاب الجنائز رقم (١٣٤٢) .
(٢) سنن أبي داود رقم (٣١٥٧) .
(٣) الطبقات لابن سعد (٣٩/٨) ؛ الدوحة النبوية (ص ٤٨) .
(٤) مجمع الزوائد للهيثمي (٨٣/٩) إسناده حسن لما له من شواهد .
(٥) الخلفاء الراشدون أعمال وأحداث ، د . أمين القضاة ، (ص ٧٣) .

[١] بئر رومة :

عندما قدم النبي ﷺ المدينة المنورة وجد أن الماء العذب قليل ، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة ، فقال رسول الله ﷺ : « **من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة** » [(١)] ، وقال ﷺ : « **من حفر بئر رومة فله الجنة** » [(٢)] .

وقد كانت رومة قبل قدوم النبي ﷺ لا يشرب منه أحد إلا بثمن ، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال النبي ﷺ : « **تبيعها بعين في الجنة ؟** » ، فقال يا رسول الله : ليس لي ولا لعيالي غيرها ، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : أتجعل لي فيها ما جعلت له ؟ قال : نعم ، قال : جعلتها للمسلمين [(٣)] ، وقيل : كانت رومة ركية ليهودى يبيع المسلمين ماءها ، فاشتراها عثمان ابن عفان من اليهودى بعشرين ألف درهم ، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل [(٤)] .

[٢] توسعة المسجد النبوي :

بعد أن بنى رسول الله ﷺ مسجده في المدينة فصار المسلمون يجتمعون فيه ليصلوا الصلوات الخمس ، ويحضروا خطب النبي ﷺ التي يُصدر إليهم فيها أوامره ونواهيه ، ويتعلمون في المسجد أمور دينهم ، وينطلقون منه إلى الغزوات ثم يعودون بعدها ، ولذلك ضاق المسجد بالناس ، فرغب النبي ﷺ من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد ، لكي تزاد في المسجد حتى يتسع لأهله ، فقال ﷺ : « **من**

---

(١) صحيح النسائى للألباني (٢/٧٦٦) .
(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٧٧٨) معلقاً وهو صحيح لشواهده .
(٣) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (١٠/١٩٦) .
(٤) فتح الباري (٥/٤٠٨) ؛ الحكمة في الدعوة إلى الله ، (ص ٢٣١).

يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة ؟ » ، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من صلب ماله [١] بخمسة وعشرين ألف درهم ، أو بعشرين ألفاً ، ثم أضيفت للمسجد [٢] ، ووسع على المسلمين رضي الله عنه وأرضاه [٣] .

[٣] العسرة وعثمانها المعطاء :

عندما أراد رسول الله ﷺ الرحيل إلى غزوة تبوك حث الصحابة الأغنياء على البذل لتجهيز جيش العسرة الذي أعده رسول الله ﷺ لغزوم الروم ، فأنفق الأموال من صحابة رسول الله ﷺ ، كلٌ على حسب طاقته وجهده ، أما عثمان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها [٤] ، وقد تمّ بيانها عند حديثنا عن موقفه في غزوة تبوك .

(١) صحيح سُنن الترمذي للألباني (٢٠٩/٣) رقم (٢٩٢١) .
(٢) صحيح سنن النسائي (٧٧٦/٢) .
(٣) أعلام المسلمين ، لخالد البيطار (٤١/٣) .
(٤) الحكمة في الدعوة إلى الله ، (ص ٢٣١) .

obeikandl.com

المبحث الرابع

من أحاديث الرسول ﷺ في عثمان بن عفان رضي الله عنه

أولاً : فيما ورد في فضائله مع غيره :

[١] افتح له وبشره بالجنة علي بلوي تصيبه :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة ، فجاء رجل فاستفتح ، فقال النبي ﷺ : « **افتح له ، وبشره بالجنة** » ، ففتحت له فإذا هو أبو بكر ، فبشرته بما قال رسول الله ، فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح ، فقال النبي ﷺ : « **افتح له ، وبشره بالجنة** » ، ففتحت له فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله ، ثم استفتح رجل ، فقال لي : « **افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه** » ، فإذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ ، فحمد الله ثم قال : الله المستعان [(١)] .

هذا الحديث تضمن فضيلة هؤلاء الثلاثة المذكورين وهم أبو بكر وعمر وعثمان: وأنهم من أهل الجنة كما تضمن فضيلة لأبى موسى وفيه دلالة على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه الإعجاب ونحوه ، وفيه معجزة ظاهرة للنبي لإخباره بقصة عثمان والبلوى ، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى [(٢)] .

[٢] اسكن أحد فليس عليك إلا نبى وصدِّيق وشهيدان :

عن أنس رضي الله عنه قال : صعد النبي ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فَرَجَف ، فقال : اسكن أحد – أظنه ضربه برجله – فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان [(٣)] .

---

(١) البخاري رقم (٣٦٩٥) .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٧٠ - ١٧١) .
(٣) البخاري رقم (٣٦٩٧) .

[٣] إهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد :

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء وأبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعليّ وطلحة ، والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله ﷺ : « **اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد** » (١) .

[٤] حياء عثمان رضي الله عنه :

عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وآله وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْطَ عائشة ، فأذن لأبى بكر وهو كذلك ، فقضى إليه حاجته ثم انصرف ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال ، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان، ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : اجمعي عليك ثيابك ، فقضيت إليه حاجتي ثم انصرف ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، ما لي لم أرَكَ فزعت لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان ؟ قال رسول الله ﷺ : « **إن عثمان رجل حَيِيٌّ ، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته** » (٢) .

[٥] استحياء الملائكة من عثمان رضي الله عنه :

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه قال محمد – أحد رواة الحديث – ولا أقول ذلك فى يوم واحد – فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تَهْتَشّ له ولم تُبَالِه ثم دخل عمر فلم تَهْتَشّ له ولم تُبالِه ، ثم دخل عثمان فجلستَ وسويت

---

(١) مسلم رقم (٢٤١٧) .
(٢) مسلم رقم (٢٤٠٢) .

ثيابك ! ، فقال : « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** » [١] قال المناوي : مقام عثمان مقام الحياء ، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ويعظم قدره ، مع نقص يجده في النفس ، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى ، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير ، وهما من جليل خصال العباد المقربين ، فعلت رتبة عثمان كذلك ، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه ،كما أن من أحب الله أحب أولياءه ، ومن خاف الله خاف منه كل شيء [٢] .

[٦] أصدقها حياء عثمان :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ارحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأصدقها حياءً عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرأها لكتاب الله أُبي [٣] وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أمين وأمين وهذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح [٤] .

ثانيًا : أخبار رسول الله ﷺ عن الفتنة التى يُقتل فيها عثمان :

[١] من نجا من ثلاثٍ فقد نجا :

عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال : « **من نجا من ثلاث فقد نجا ، ثلاث مرات ، موتي ، والدجال ، وقتل خليفة مصطبر بالحق معطيه** » [٥] .

ومعلوم أن الخليفة الذي قتل مصطبراً بالحق هو عثمان ، فالقرائن تدل على أن الخليفة المقصود بهذا الحديث هو عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفي الحديث – والله أعلم – لفتة عظيمة ، إلى أهمية السلامة من الخوض في هذه الفتنة حسيًا ومعنويًا ، أما حسيًا فذلك يكون في زمن الفتنة من تحريض وتأليب وقتل وغير ذلك ، وأما

---

(١) مسلم رقم (٢٤٠١) .
(٢) فيض القدير للمناوي (٣٠٢/٤) .
(٣) أُبي بن كعب رضي الله عنه .
(٤) فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (٦٠٤/١) إسناده صحيح .
(٥) المسند (٤١٩/٤) (٣٤٦/٥) تحقيق أحمد شاكر .

معنوياً فبعد الفتنة من خوض فيها بالباطل ، وكلام فيها بغير حق وبهذا يكون الحدث عاماً للأمة ، وليس خاصاً بمن أدرك الفتنة [١] .

[٢] يُقتل فيها هذا المقنع يومئذ :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فمرّ رجل ، فقال : يُقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً ، قال : فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان [٢] .

[٣] هذا يومئذ على الهدى :

عن كعب بن عجرة ، قال : ذكر رسول الله فتنة فقر بها فمر رجل مقنع رأسه فقال رسول الله ﷺ : « **هذا يومئذ على الهدى** ، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ، ثم استقبلت رسول الله فقلت : هذا ؟ قال : **هذا** » [٣] .

[٤] تهيج فتنة كالصياصى ، فهذا ومن معه على الحق :

عن مرة البهزي قال : كنت عند رسول الله ﷺ وقال بهز – من رواة الحديث – قال رسول الله ﷺ : « **تهيج فتنة كالصياصي ، فهذا ومن معه على الحق ، قال : فذهبت فأخذت بجامع ثوبه ، فإذا هو عثمان بن عفان** رضي الله عنه » [٤] .

[٥] هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى :

عن أبي الأشعث قال : قامت خطباء بإيلياء في إمارة معاوية رضي الله عنه فتكلموا ، وكان آخر مَنْ تكلم مرة بن كعب فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت ، سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقر بها فمر رجل مقنع فقال : هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى ، فقلت : هذا يا رسول الله ؟ وأقبلت بوجهه إليه فقال : هذا فإذا هو عثمان رضي الله عنه [٥] .

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١/٤٤) .
(٢) فضائل الصحابة (١/٥٥١) إسناده حسن .
(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٤) .
(٤) المسند (٥/٣٣) له طريق تقويه .
(٥) فضائل الصحابة (١/٥٥٠) إسناده صحيح .

[٦] عليكم بالأمين وأصحابه :

عن أبى حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام ، فأذن له ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافًا ، أو قال : اختلافًا وفتنة ،** فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ قال : **عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك** » (١) .

[٧] فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه :

عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ ، فلما رأينا رسول الله ﷺ أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلامه كلمة أن ضرب بين منكبيه وقال: « **يا عثمان إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصًا ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ، ثلاثًا** » (٢) .

[٨] إن رسول الله ﷺ عهد إلىّ عهدًا وإنى صابر نفسى عليه :

عن أبى سهلة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : ادعوا لي بعض أصحابي ، قلت : أبو بكر ؟ قال : لا ، قالت : قلت : عثمان ؟ قال : نعم ، فلما جاء قال : تنحّي ، فجعل يُسَارّه (٣) ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ، قال : لا ، إن رسول الله عهد إليّ عهداً وإني صابر نفسي عليه (٤) .

وهذا الحديث يبيّن شدة محبة رسول الله لعثمان رضي الله عنه ، وحرصه على مصالح

---

(١) فضائل الصحابة (١/٥٥٠) إسناده صحيح .
(٢) فضائل الصحابة (١/٦٣١) إسناده صحيح .
(٣) من المسارة مفاعلة من السر أي : المناجاة .
(٤) فضائل الصحابة (١/٦٠٥) إسناده صحيح .

الأمة بعده ، فقد أخبره بأشياء تتعلق بهذه الفتنة التي ستنتهي بقتله ، وحرص عليه الصلاة والسلام على سرّيتها ، حتى إنه لم يصل إلينا منها إلا ما صرح به عثمان رضي الله عنه أثناء الفتنة لما قيل له : ألا تقاتل فقد قال : لا إن رسول الله عهد إليّ عهداً ، وإني صابر نفسي عليه [١] ، ويظهر من قوله هذا ، أن النبي قد أرشده إلى الموقف الصحيح ، عند اشتعال الفتنة ، وذلك أخذاً منه ﷺ بحجز الفتنة أن تنطلق وفي بعض الروايات زيادة تكشف عن بعض مكنون هذه المسارّة ، فقد جاء فيها أن النبي ﷺ قال له : « **وإن سألوك أن تنخلع من قميص قمصك الله عز وجل ، فلا تفعل** » [٢] ، ومضمون هذا العهد الذى ذكره عثمان رضي الله عنه يتعلق بالفتنة والوصية بالصبر فيها ، وعدم الخلع ، وإن كان يفهم من هذه الأحاديث بأنه سيكون خليفة يومًا ما ، ويبدو أن هناك وصايا ، وإرشادات تتعلق بهذه الفتنة ، انفرد بمعرفتها عثمان رضي الله عنه ، وذلك محافظة من النبي ﷺ على السرية فيها ، ومما يبين ذلك أنه أمر عائشة رضي الله عنها بالانصراف [٣] ، عندما أراد الإسرار بها لعثمان رضي الله عنه ، كما أنه أسرَّ إليه إسراراً ، رغم خلو المكان من غيرهما ، حتى تغير لونه ، مما يدل على عظم المُسرِّ به ، وربْطُ عائشة رضي الله عنها هذا الإسرار بالفتنة دليل واضح على أن هذه المسارة كانت حول الفتنة التي قُتل فيها ، كما إن الإسرار تضمن توجيهات منه ﷺ إلى عثمان ليقف الموقف الصحيح عند عرض الخلع ، وأن النبي ﷺ لم يقتصر على الإخبار بوقوع الفتنة ، فقد أخبر بذلك علانية في أحاديث كثيرة ، كما تقدم ، فإسراره يدل على أن هذا الإسرار تضمن أشياء أخرى زيادة على الإخبار عن وقوعها ، ورغب عليه الصلاة والسلام بالمحافظة على سريتها لحكمة اقتضت ذلك – الله أعلم بها – وهذا الحديث يفسر لنا جلياً سبب إصرار عثمان على رفض القتال

---

(١) المصدر نفسه (٦٠٥/١) إسناده صحيح .

(٢) فضائل الصحابة (٦١٣/١) إسناده صحيح ؛ الطبقات (٦٦/٣-٦٧) .

(٣) فقد قال لها النبي ﷺ : « تنحي » ومعنى التنحي الانصراف ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيط (٣٩٦/٤) ؛ لسان العرب (٣١١/١٥) .

أثناء الحصار كما يفسر أيضاً سبب رفضه للتنازل عن الخلافة ، وخلعها عندما عرض القوم عليه ذلك ، وهما موقفان طالما تساءل الباحثون والمؤرخون عن السبب الذي أدى عثمان إليهما واستشكلوهما [١] ، وحدث فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ، من ضمن حوادث كثيرة أخبر رسول الله ﷺ في حياته بأنه ستقع بالغيب ، فإن علم الغيب صفة من صفات الله عز وجل ، ليست لأحد من خلقه ، وإنما ذلك علم أطلعه الله عليه وأمره أن يبينه للناس [٢] ، قال تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (١٨٨) ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

(١) فتنة مقتل عثمان (٤٨/١) .
(٢) المصدر نفسه (٤٨/١) .

obeikanal.com

المبحث الخامس

ذو النورين في عهد الصديق والفاروق

أولاً : في عهد الصديق

[١] من أهل الشوري فى مسائل الدولة العليا :

كان عثمان رضي الله عنه من الصحابة وأهل الشورى الذين يُؤخذ رأيهم في أمهات المسائل في خلافة أبي بكر فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصديق ، عمر بن الخطاب للحزامة والشدائد ، وعثمان ابن عفان للرفق والأناة ، وكان عمر وزير الخلافة الصديقية ، وكان عثمان أمينها العام ، وناموسها وكاتبها الأكبر [(١)] ، وكان رأيه مقدمًا عند الصديق ، فبعد أن قضى أبو بكر على حركة الردة ، أراد أن يغزو الروم ، وينطلق الجيش المجاهد إلى أطراف الأرض ، فقام فى الناس يستشيرهم فقال الألبَّاء ما عندهم ، ثم استزادهم أبو بكر فقال : ما ترون ؟ فقال عثمان : إنى أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين ، شفيق عليهم ، فإذا رأيت رأيًا لعامتهم صلاحًا ، فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين [(٢)] ، فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد ابن زيد ومَنْ حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم : صدق عثمان ! ما رأيت من رأي فأمْضِه [(٣)] ، ولما أراد الصديق أن يبعث واليًا إلى البحرين استشار أصحابه ، فقال عثمان رضي الله عنه : ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله إليهم فقدم عليه [(٤)] ، بإسلامهم وطاعتهم ، وقد عرفوه وعرفهم وعرف بلاده – يعنى العلاء بن

---

(١) عثمان بن عفان ، صادق عرجون ، (ص ٥٨) .
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣/٢–٦٥) ؛ أبو بكر الصديق للصَّلابي (ص ٣٦٤) .
(٣) أبو بكر الصديق للصَّلابي (ص ٣٦٤) .
(٤) أي على النبي ﷺ .

الحضرمي رضي الله عنه – فبعث الصديق العلاء إلى البحرين [١] .

ولما اشتد المرض بأبي بكر استشار الناس فيمن يحبون أن يقوم بالأمر من بعده فأشاروا بعمر، وكان رأي عثمان في عمر، اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله [٢]، فقال أبو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدتك [٣] .

[٢] أزمة اقتصادية فى عهد الصديق رضي الله عنه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق ، فاجتمع الناس إلى أبي بكر فقالوا : السماء لم تمطر ، والأرض لم تُنبت ، والناس في شدة شديدة ، فقال أبو بكر : انصرفوا واصبروا ، فإنكم لا تُمسون حتى يُفرج الله الكريم عنكم ، قال : فاجتمع الناس إلى باب عثمان ،فقرعوا عليه الباب ، فخرج إليه عثمان في ملأ من الناس فقال : ما تشاؤون ؟ قالوا : الزمان قد قحط : السماء لا تمطر ، والأرض لا تُنبت ، والناس في شدة شديدة ، وقد بلغنا أن عندك طعامًا ، فبعنا حتى نوسّع على فقراء المسلمين . فقال عثمان رضي الله عنه : حبًا وكرامة ، ادخلوا فاشتروا ، فدخل التجار ، فإذا الطعام موضوع في دار عثمان ، فقال : يا معشر التجار كم تربحونني على شرائي من الشام ؟ قالوا : للعشرة اثنا عشر . قال عثمان : قد زادوني ، قالوا : للعشرة خمسة عشر ، قال عثمان : قد زادوني ، قال التجار : يا أبا عمرو ما بقي بالمدينة تجار غيرنا ، فمن زادك ؟ قال : زادني الله تبارك وتعالى بكل درهم عشرة ، أعندكم زيادة ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : فإني أشهد الله أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين [٤] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : فرأيت

---

(١) كنز العمال (٥/٦٢٠) رقم (١٤٠٩٣) ، القيود الواردة على سلطة الدولة ،عبد الله الكيلاني (ص١٦٩) ، تاريخ الضري (٤/١٢٢) .

(٢) الكامل لابن الأثير (٢/٧٩) الخلفاء الراشدون ، محمود شاكر (ص ١٠١) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٢/٧٩) .

(٤) الرقة والبكاء ، لابن قدامة ، (ص ١٩٠) ؛ الخلفاء الراشدون ، حسن أيوب ، (ص ١٩١) ؛ شهيد الدار ، أحمد الخروف ، (ص ٢١) .

من ليلتي رسول الله ﷺ في المنام وهو على برذون أبلق [١] عليه حُلَّة من نور ، في رجليه نعلان من نور ، وبيده قصبة من نور ، وهو مستعجل ، فقلت : يا رسول الله قد أشتدّ شوقي إليك وإلى كلامك فأين تُبادر ؟ قال : يا ابن عباس ، إنّ عثمان قد تصدَّق بصدقة ، وإن الله قد قبلها منه وزوَّجه عروسًا في الجنة ، وقد دُعينا إلى عرسه [٢] .

فهل يفتح الله تعالى آذان عُبّاد المال ، ومحتكري قوت العباد شحًا وجشعًا إلى صوت هذه العظمة العثمانية حتى تدلف إلى قلوبهم فتهزها هزة الأريحية والعطف ، وتوقظ فيها بواعث الرحمة والإحسان بالفقراء والمساكين ، والأرامل واليتامى وذوي الحاجات من أهل الفاقة والبؤس ، الذى طحنتهم أزمة الحياة واعتُصرت دماءهم شرابًا لذوي القلوب المتحجرة من الأثرياء ؟ فما أحوج المسلمين في هذه المرحلة من حياتهم إلى نفخة عثمانية في إنفاق الأموال على الفقراء والمساكين والمحتاجين تسري بينهم تعاطفًا ومؤاساة وبرًّا وإحسانًا [٣] .

هذا موقف من مواقف الكرم والبرّ لعثمان رضي الله عنه ، فقد كان رضي الله عنه من أرحم الناس بالناس ، فهو يقرأ قول رب الناس ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦)** ﴾ [العلق : ٦] ، فيصدّه ذلك عن الطغيان ، ويقرأ قوله تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)** ﴾ [البقرة : ٤٤] ، فيجعله ذلك من أبعد الناس عن النفاق والمنافقين ، ويقرأ قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**

---

(١) الذي فيه سواد وبياض .
(٢) الرقة والبكاء ، (ص ١٩٠) .
(٣) عثمان بن عفان ، صادق عرجون (ص ٥٢) .

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فيحمله ذلك على أن يكون من [١] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

ثانياً : في عهد الفاروق :

كان عثمان رضي الله عنه ذا مكانة عند عمر ، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيء رَمَوه بعثمان ، وبعبد الرحمن بن عوف ، وكان عثمان يُسمى الرديف ، والرديف بلسان العرب هو الذى يكون بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيس ، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيء ثلثوا بالعباس [٢] .

وقد حدث ذات مرة أن خرج عمر بالناس وعسكر بهم بما يُدعى « صِراراً » فجاء عثمان فسأله : ما بلغك ؟ ما الذي تريد ؟ فنادى عمر « الصلاة جامعة » ثم أخبر الناس عن عزمه في غزو العراق [٣] ، ولما ولي عمر الخلافة استشار وجوه الصحابة في عطائه من بيت مال المسلمين ، فقال له عثمان : كل واطعم [٤] ، وعندما أرسل أبو عبيدة إلى عمر أن يقدم إلى بيت المقدس ليفتحه ، فاستشار عمر الناس ، فأشار عثمان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم ، وقال لعمر : فأنت إن أقمت ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف ، ولقتالهم مستعد ، فلم يلبثوا إلى السير حتى ينزلوا على الصغار ويعطوا الجزية [٥] ، وأشار عليّ بالمسير ، فهوى عمر ما قال عليّ ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم [٦] .

---

(١) شهيد الدار (ص ٢٢ ، ٢٣) .
(٢) تاريخ الطبري (٨٣/٤) ، المرتضى للندوى (ص ١٣١) .
(٣) عثمان بن عفان ، الخليفة الشاكر الصابر ، (ص ٦٣) .
(٤) المصدر نفسه (ص ٦٣) .
(٥) عثمان بن عفان ، محمد حسين هيكل ، (ص٤٧ – ٤٨) ، نقلاً عن السياسة المالية لعثمان بن عفان ، (ص ٢٤) .
(٦) عثمان بن عفان ، الخليفة الشاكر ، (ص ٦٣) .

لقد كانت مكانة عثمان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كمكانة الوزير من الخليفة ، وإن شئت فقل هي مكانة عمر من أبي بكر في خلافته ، وقد صنع الله لأبي بكر بوزارة عمر لخلافته ما يصنعه لخير أهله ، وصنع لعمر بوزارة عثمان خلافة ما يصنعه لخير أهله ؛ فقد كان أبو بكر أرحم الناس بالناس ، وكان عمر أشدهم في الحق ، فمزج الله رحمة الصديق بشدة عمر ، فكانت منهما خلافة الصدق وسياسة العدل وقوم الحزم ، وكان عثمان رضي الله عنه أشبه بالصديق في رحمته ، وكان عمر على سُننه في شدته ، فلما تولى بعد أبى بكر جعل الله له في وزارة عثمان لخلافته عوضاً من رحمة الصديق ورفقه ؛ فكان منهما تلك الأمثال المضروبة في أنظمة الحكم وسياسة الأمة أحكم سياسة وأعدلها ، وقد عرف الناس هذه المكانة لعثمان في خلافة عمر ، فهو الذي أشار على عمر بفكرة الديوان وكتابة التاريخ كما جاء في بعض الروايات :

[١] الديوان :

لما اتسعت الفتوحات وكثرت الأموال جمع عمر ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ليستشيرهم في هذا المال ؛ فقال عثمان رضي الله عنه : أرى مالاً كثيراً يسع الناس ، وإن لم يُحصَوا حتى يعرف من أخذ منهم ممن لم يأخذ ، خشيت أن ينتشر الأمر ، فأقر عمر رأي عثمان ، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدواوين [(١)] .

[٢] التاريخ :

جاء في بعض الروايات أن الذي أشار على عمر بجعل السُنّة الهجرية تبدأ بالمحرم هو عثمان ، وذلك أنهم لما اتفقوا بعد مشاورات على جعل مبدأ التاريخ الإسلامي من هجرة النبي ﷺ ، لأنها فرقت بين الحق والباطل – تعددت الآراء في أي الأشهر يُجعل بداية للسُنة ، فقال عثمان : أرخوا من المحرم أول السنة ، وهو شهر حرام ،

---

(١) تاريخ الطبري (٢٠٣/٥) ؛ عثمان بن عفان ، صادق عرجون ، (ص ٦٠) .

وأول الشهور في العدة ، وهو منصرف الناس من الحج ؛ فرضي عمر ومن شهده من أصحابه رأي عثمان واستقر عليه الأمر ، وأصبح مبدأ تاريخ الإسلام [١] .

[٣] أرض الخراج :

كان عثمان رضي الله عنه ممن أيدوا رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدم تقسيم أرض الفتوح على الفاتحين وابقائها فيئًا للمسلمين وللذرية من بعدهم [٢] .

[٤] حجه مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن :

لما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ، بعث تلك السنة على الحج عبد الرحمن بن عوف ، فحج بالناس وحج مع عمر أيضًا آخر حجة حجها عمر سنة ثلاث وعشرين ، وأذن عمر تلك السنة لأزواج النبي ﷺ في الحج ، فحُملن في الهوادج ، وبعث معهنّ عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهنّ فلا يدع أحدًا يدنو منهن ، وينزلن مع عمر كل منزل ، فكان عثمان وعبد الرحمن ينزلان بهنّ في الشعاب ، فيُقبلانهن الشعاب ، وينزلان هما في أذل الشعب ، فلا يتركان أحدًا يمر عليهن [٣] .

(١) عثمان بن عفان ، صادق عرجون ، (ص ٦٠) .
(٢) السياسة المالية لعثمان (ص ٢٥) .
(٣) طبقات ابن سعد (١٣٤/٣) ؛ أنساب الأشراف (٤٦٥/١ ، ٤٦٦) ؛ مجلة البحوث الإسلامية ، العدد العاشر ، (ص ٢٦٣) .

obeikandl.com